شوق المؤمن نحو خلاص كل البشر!

القمص تادرس يعقوب ملطي

يكشف سفر المزامير عن اتساع قلب المؤمن، فيشتهي خلاص كل البشر. فإن كان سفر المزامير سجل ما في قلوب بعض المؤمنين بعد دخول اليهود أرض الموعد، وكانوا يعتزون بأنهم شعب الله الوحيد الذي يعبد الله ويقدم له الصلوات والذبائح، وفي نفس الوقت يكشف عن شوقٍ حقيقيٍ أن تتعبد الأرض كلها للربّ. ففي المزمور ٦٦ يترنم المرتل، قائلاً: "اهتفي للربّ **يا كل الأرض... كل الأرض ترنم لك، ترنم لاسمك**"(مز ٦٦: ١، ٤؛ راجع مز ٩٦: ٩؛ ٩٨: ٤؛ ١٠٠: ١؛ ١٠٨: ٥).

وفي أيام إبراهيم أو حفيده يعقوب وُجد أيوب الذي شهد الله ببرّه، إذ **"قال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب، لأنه ليس مثله في الأرض، رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر" (أي ١: ٨). لم يكن أيوب** من نسل إبراهيم، ولم يكن يهوديًا ومع ذلك سُجل سفر باسمه في العهد القديم، وقد ظهر له الربّ وباركه، بل وطُلب من أصدقائه أن يسألوه أن يصلي من أجلهم فيصفح الرب عنه (أي ٤٢: ٨).

وفي عصر القضاة أيضًا أعلنت راعوث المؤابية لحماتها: "شعبكِ شعبي، وإلهكِ إلهي" (را ١: ١٦)، وتزوجت بوعز وجاء من نسلهما عوبيد أبو يسَّى والد داود، وجاء في أنساب يسوع: "وبوعز ولد عوبيد من راعوث وعوبيد ولد يسَّى" (مت ١: ٥). هكذا سجَّل لنا الكتاب المقدس مؤمنين لم يكونوا من شعب الله القديم (اليهود).

بعد تجسد الكلمة والإعلان عن محبة الله للبشر، قيل: "هكذا **أحب الله العالم** حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦). بهذا انفتح الباب على مصراعيه ليحب المؤمن كل البشرية، مشتاقًا إلى خلاص جميع الناس، ولا ينحصر في شعب اليهود وحدهم. يقول الرسول بولس: "لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلّصنا الله، الذي يريد أن **جميع الناس يخلصون** وإلى معرفة الحق يقبلون" (١ تي ٢: ٣-٤).

أعلن الرسول بولس اشتياقه أن تعمل نعمة الله في كل الضعفاء، إذ يقول: "من يضعف وأنا لا أضعف، من يعثر وأنا لا ألتهب" (٢ كو ١١: ٢٩). وقال القديس باسيليوس الكبير في إحدى عظاته إنه إن اجتمع كل من في المدينة لسماع عظاته وبقي شخص واحد يرفض التمتع بالشركة مع الله، يبقى القديس حزينًا من أجله حتى يؤمن بالله ويتمتع بالشركة معه.

لقد انفتح باب الإيمان لكل مؤمن، وصار يليق بكل مؤمنٍ أن يدعو الأرض كلها أن تسبّح الله، وتتأمل أعماله القديرة والعجيبة. هذا هو دور الكاهنٍ كما كل فرد في الشعب خاصة القادة من آباء وأمهات ومرشدين أن يحثوا الكل على تمجيد الله محب البشر!

يقول **القديس أغسطينوس:** [انظروا يا إخوة بأي نوع جامعية الكنيسة، تنتشر في العالم كله... **"اهتفي لله يا كل الأرض"** (مز ٦٦: ١). أي هتاف (بهجة)؟ هتاف ليس بكلمات، بل بالصوت الخارج فقط من أناس متهللين، كما من قلبٍ عاملٍ، يُخرِج صوت سرورٍ لأمر يحسب أنه لا يُمكن التعبير عنه. **"اهتفي لله يا كل الأرض".** لا يهتف أحد منفصلاً، بل لتهتف كل الأرض. لتهتف الكنيسة الكاثوليكية (الجامعة). الكنيسة الكاثوليكية (الجامعة) تحتضن الكل. أما من ينفرد، وتقطع نفسه عن الكل، فيلزمه أن يولول لا أن يهتف.]

كما يقول: [لتفرح السماوات التي تُخبر بمجد الله. لتفرح السماوات التي صنعها الرب. ولتبتهج الأرض التي تمطر عليها السماوات. لأن السماوات هي الكارزون، والأرض هي المستمعون. **"ليعجّ البحر وملؤه"؛** أي بحر؟ العالم!... كان العالم كله هائجًا ضد الكنيسة، بينما كانت تمتد وتُبنى على الأرض كلها.[1]]

بمجيء كلمة الله متجسدًا صارت لنا تسبحة جديدة، إذ فتح أبواب الرجاء أمام كل الأمم لينالوا النصرة على إبليس وكل قوات الظلمة، ويتمتعوا بأن يملك السيد المسيح نفسه على قلوبهم. وكما قيل بملاخي: "لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم، قال رب الجنود" (مل ١: ١١).

الله الذي يبَّس البحر ليَعبُر موسى ومعه بنو إسرائيل بأرجلهم، وخلَّصهم من اضطهاد المصريين، وأجازهم نهر الأردن تحت قيادة يشوع بن نون إنما كان ذلك رمزًا لاجتياز الأمم المعمودية والتمتع بالفرح بالخلاص.

من وحي مز ٦٦

أهتف لك مع كل بشر!

- أعماقي تصرخ إليك: متى يأتي كل بشرٍ إليك؟
  متى تصير الأرض سماءً؟
  متى تهتف كل الأرض لك، يا مخلِّص العالم؟

- إن كان الأعداء يكذبون،
  كما فعل فرعون في كل وعوده مع موسى،
  لكن لتخضع الأرض كلها لك.
  عوض الكذب، يلتصقون بك، يا أيها الحق!
  تملأهم بقوتك، وتشبعهم بفرحك،
  فلا يكفون عن التسبيح لاسمك!

---

[1] On Ps. 96 (95).

✣ عيناك عليّ من أول السنة إلى آخرها.
عيناك تراقبان كل البشر.
من يستحق أن تتطلع إليه يا كلي الحنو؟
نظراتك تحطم كل قسوةٍ في أعماقي،
تنظر إليّ مع تلميذك بطرس،
فأخرج خارج دهليز مشاغل الحياة.
وأبكي معه بكاءً مرًا،
هو بكاء التوبة مع دموع الرجاء فيك!
أشهد دومًا إني أحبك!

✣ ماذا أُقدِّملك أمام عملك معي، كما مع كل الأرض؟
أقدم لكَ محرقات الحب الناري،
أنذر لك أن أعيش كل حياتي لك.
تبقى أعماقي تهتف لك مع كل السمائيين!
لك المجد، يا محب البشر!

القمص تادرس يعقوب ملطي

ايقونة: الفنان جرجس سمير